

## الدروس والعبر من الكسوف والخسوف حسن مهدي قاسم الريمي



الحمد لله الذي علمنا ما لم نكن نعلم، وصلى الله على سيد الخلق محمد وعلى آله وصحبه وسلم

أما بعد

فإن الله سبحانه وتعالى خلق كل شيء فقدره تقديراً، جعل في السماء بروحاً وجعل فيها سراجاً وقمراً منيراً أرسى في الكون سنناً، وأودع في الآفاق عبراً، وجعل لعباده دلالات تدلهم عليه، وآيات توصلهم إليه؛ لكن الناس حين اعتادوا على هذه الآيات، وتكررت في دنياهم هذه الدلالات، لم يعد يؤثر فيهم اختلاف الجديدين وتقلبهما، ولم يتدبروا في توالي النيّرين وتعاقبهما، فلم يقدرُوا لله قدره، ولم يتأملوا في آياته وأمره؛ إلا القليل منهم

فسبحان مَنْ لا يقدّر الخلق قدره  
ومن هو فوق العرش فردّ مودد

فالكسوف والكسوف آية من آيات الله، وهذه الآيات لا يُرسلها الله لنا عبثاً ولا سدى إنما يرسلها تخويماً لعنا نخاف، لعنا نرجع ونعود، يقول الله سبحانه وتعالى ( وَمَا تُرْسِلُ بِالآيَاتِ إِلَّا تَخْوِيفًا ) الإسراء ٥٩

قال سماحة شيخنا العلامة عبد العزيز بن باز رحمه الله وما يقع من خسوف أو كسوف في الشمس والقمر ونحو ذلك مما يتلى الله به عباده، هو تخويف منه سبحانه وتعالى وتحذير لعباده من التمادي في الطغيان، وحث لهم على الرجوع والإنابة إليه

والمسلم الفطن لا يقف عند مجرد رصد هذه الظاهرة كظاهرة فلكية تعرف بالحساب في وقت الابتداء والانجلاء فحسب، وإنما يستثمر إعمال العقل في التفكير والتبصر في هذه الآيات، ليستلهم منها الدروس والعبر، قال تعالى ( إِنَّ فِي ذَلِكَ لَذِكْرًا لِمَنْ كَانَ لَهُ قَلْبٌ ) ق ٣٧

فمن الدروس المستفادة من ظاهرة الخسوف والكسوف

أولاً أن من مظاهر فزعه عليه الصلاة والسلام أنه لما كسفت الشمس على عهده فزع فزعاً شديداً، قال أبو موسى رضي الله عنه خست الشمس فقام النبي فزعاً يخشى أن تكون الساعة فأتى المسجد فصلى بأطول قيام وركوع وسجود رأيت قط يفعل، وقال هذه الآيات التي يرسل الله لا تكون لموت أحدٍ ولا لحياته ولكن يخوف الله بها عباده، فإذا رأيت شيئاً من ذلك فافزعوا إلى ذكره ودعائه واستغفاره رواه البخاري ومسلم

ثانياً من الدروس المستفادة من ظاهرة الخسوف والكسوف أن من مظاهر فزعه عليه الصلاة والسلام وهو أعلم الناس بربه، أنه أخطأ فلبس رداء بعض نسائه، كما قالت أسماء رضي الله عنها فأخطأ بدر حتى أدرك بردائه بعد ذلك رواه مسلم

ثالثاً من الدروس المستفادة من ظاهرة الخسوف والكسوف أن من مظاهر فزعه عليه الصلاة والسلام إطالته الصلاة طويلاً غير معهود، مع أنه يأمر بالتخفيف، قال جابر رضي الله عنه فأتنا في الصلاة حتى جعلوا يخزون رواه مسلم وأكدت ذلك أسماء رضي الله عنها بقولها فأتنا رسول الله صلى الله عليه وسلم في القيام جداً حتى تجلاني العشي، فأخذت قربة من ماء إلى جنبي فجعلت أصب على رأسي أو على وجهي من الماء رواه البخاري ومسلم

رابعاً من الدروس المستفادة من ظاهرة الخسوف والكسوف أنه تخويف من الله لعباده، لأن النبي صلى الله عليه وسلم صرح بذلك، فقال يخوف الله بهما عباده لكن قد يكون هذا التخويف لعقوبة انعقدت أسبابها، ولهذا أمر الناس بالفزع إلى الصلاة والدعاء والاستغفار والصدقة والتكبير كما ذكر ذلك شيخنا الشيخ بن عثيمين رحمه الله

خامساً من الدروس المستفادة من ظاهرة الخسوف والكسوف أن حكمة الله اقتضت أن العباد ما عملوا عملاً على خلاف شرع الله إلا وعاقبهم من العقوبات في الدنيا ما يكون فيه اعتبارهم، وما من عقوبة إلا وبينها وبين المعصية تناسباً ظاهراً أو باطناً

سادساً من الدروس المستفادة من ظاهرة الخسوف والكسوف أن هذه الآيات رسالة إلى كل عاص، إلى كل مقصر، إلى كل مضيع لأوامر الله، أن لهذا الكون خالقاً مدبراً حكيماً لا يعزب عنه مثقال ذرة في السموات ولا في الأرض، يعلم ما كان وما يكون وما سيكون لو كان كيف يكون

سابقاً من الدروس المستفادة من ظاهرة الخسوف والكسوف  
أن هناك من الأهوال ما هو أشد من الخسوف والكسوف والزلازل والبراكين، إنه الموت والسكرات والقبور الموحشات والصرات والميزان والحشر والنشر والوقوف بين يدي رب الأرض السماوات

ثامناً من الدروس المستفادة من ظاهرة الخسوف والكسوف  
أن في هذه الآيات رسالة أن كل ما في الكون خاضعاً لله خاشعاً له مطيعاً لأوامره جل في علاه، قال تعالى ( أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ يَسْجُدُ لَهُ مَنْ فِي السَّمَوَاتِ وَمَنْ فِي الْأَرْضِ وَالشَّمْسُ وَالْقَمَرُ وَالنُّجُومُ وَالْجِبَالُ وَالشَّجَرُ وَالدَّوَابُّ وَكَثِيرٌ مِنَ النَّاسِ وَكَثِيرٌ حَقَّ عَلَيْهِ الْعَذَابُ وَمَنْ يُهِنِ اللَّهُ فَمَا لَهُ مِنْ مُكْرِمٍ إِنَّ اللَّهَ يَفْعَلُ مَا يَشَاءُ ) الحج ١٨

تاسعاً من الدروس المستفادة من ظاهرة الخسوف والكسوف  
أنها رسالة بأن كل شيء يتغير ويتحول ويزول إلا الله لا يتغير ولا يحول ولا يزول ( كُلُّ شَيْءٍ هَالِكٌ إِلَّا وَجْهَهُ ) القصص ٨٨

عاشراً من الدروس المستفادة من ظاهرة الخسوف والكسوف  
أن بالكسوف والخسوف يتبين فضل الله على عباده بهذين النيرين الشمس والقمر، فبهما تقوم مصالح العباد في معاشهم وديارهم، وقد امتن الله بذلك على عباده فقال تعالى ( قُلْ أَرَأَيْتُمْ إِنْ جَعَلَ اللَّهُ عَلَيْكُمُ اللَّيْلَ سَرْمَدًا إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ مَنْ إِلَهٌ غَيْرُ اللَّهِ يَأْتِيكُم بِضِيَاءٍ أَفَلَا تَشْكُرُونَ ) قُلْ أَرَأَيْتُمْ إِنْ جَعَلَ اللَّهُ عَلَيْكُمُ النَّهَارَ سَرْمَدًا إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ مَنْ إِلَهٌ غَيْرُ اللَّهِ يَأْتِيكُم بِاللَّيْلِ تَسْكُنُونَ فِيهِ أَفَلَا تُبْصِرُونَ ) وَمَنْ رَحِمَهُ جَعَلَ لَكُمُ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ لِتَسْكُنُوا فِيهِ وَلِتَبْتَغُوا مِنْ فَضْلِهِ وَلَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ القصص ٧١-٧٣

وفي الختام إن مما تستدفع به الشرور والنكبات، ويحصل به الأمن من العقوبات، الفزع إلى الأعمال الصالحات؛ من دعاء وذكر وصلاة وعتاق وصدقة وتوبة حتى ينكشف ما بالناس، وينجلي عنهم الكسوف والخسوف وتووبوا إلى الله جميعاً أيها المؤمنون لعلكم تفلحون النور ٣١

حسن مهدي قاسم الربيعي